كريم شاره‌زا

كنز اللّسن

كتاب تراثي قيّم

عوّدَنا العالمُ النحرير[1] الشيخ محمد الخال عضو المجمع العلمي العراقي «الهيأة الكردية» بين حين وآخر، ان يُتحفنا بمؤلَّف قيمّ بين دَفَّتي سِفْرٍ عظيم او كتابٍ ثمين او بحث علمي شامل او مقالٍ ثقافي شيّق.

فأتحفنا شيخُنا الجليل هذه المرة بكتاب تراثي قيمٍّ بعنوان [كنز اللّسن] المكنوزُ فيه ستة ألْسُنٍ واثنا عشر فناً، من تأليف العلاّمة السيد أحمد فائز البرزنجي، حيثُ قامَ شيخنا الباحث بتصحيحه وضبطه والتعليق عليه وكتابة مقدمة توضيحية مستفيضة له، والكتابُ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي «الهيأة الكردية» في سنة 1400هـ ـ 1980م.

يقع الكتاب في 21 صفحة من القطع الكبير في حَجم كراريس الاحصاء وبأبعاد قياسية 23x48سم وسبب سعة صفحاته يعود الى محتواه وفن تدوينه وتنميقه في جداول وأعمدة عدة، حيث يصلُ عدد أعمدتِهِ أحدَ عشرَ عموداً وتبلغُ فنونه المدونة فيه إثنى عشر فناً.

يتناول الكتاب ستَ لغاتٍ: من عربيةٍ وتركيةٍ وفارسيةٍ وفرنسية وروسيةٍ وكرديةٍ، ويُقرأ بخمسَ عشرة طريقة، ثلاث عشرة منها عمودية والرابعة عشرة منها أفقية، بأن يُقرأ السطر الأول من جميع تلك الأعمدة ثُمَّ السطر الثاني والثالث وهلم جرا فحينئذٍ تنقلب جميع اللغات غير العربية الى العربية وتَنْقَلِبُ جميع العلوم الاثنى عشر الى مسائل فقهية، وفي الكتاب مسائل لغوية وادبية وبلاغية أخرىٰ.

يقولُ شيخنا الخال محقق الكتاب في مقدمته المستفيضة :«منذُ أكثر من ربع قرن عثرتُ على مخطوطة نادرة في بابها وهي كتاب كنز اللّسن تأليف العلامة أحمد فائز البرزنجي عند أحد حَفَدَتِهِ[2] في السليمانية وهو المرحوم الشيخ طيب بن الشيخ عارف حكمة بن السيد أحمد فائز، والنسخة للمؤلف لا بخط يدهِ.

وعن نسبه. يقولُ الاستاذ المحقق: «هو ابن السيد محمود بن السيد أحمد بن السيد عبدالصمد فضل اللّه بن الشيخ حسن گه‌زردى السعداني، وُلِدَ في قَرية گه‌زرده المسماة بـ(سعدان) سنة 1285هـ ـ 1842م[3].

كان العلاّمة أحمد فائز من بيت علمٍ ودينٍ ومن سادات برزنجة. قرأ القرآن مع بعض الرسائل الفارسية والعربية على يد والده ثُم فارق گه‌زرده متوجهاً الى السليمانية فأكبَّ على الدروسِ وَجَدَّ في التحصيل وقرأ مبادئ النحو والصرف والاستعارة والمنطق والآداب على يد الفاضل محمد غالب ثُم قرأ الكلام والعروض والقوافي على يد الأديب مصطفى البرزنجي ثم قرأ شرح الهداية في الحكمة مع بعض حواشيه على الملا أحمد النودشي ثم درس علوم المعاني والبيان والبديع على يد الفاضل المحقق الملا أحمد البيرحسني المشهور بملا (چاومار) ثم قرأ الفقه وأصول الفقه والحديث وبعضاً من تفسير البيضاوي على يد السيد كاك أحمد الشيخ (قُدِّسَ سِرُّهُ)[4].

يقولُ الاستاذ الخال عن مؤلفاتِهِ، إنه قد ألّفَ 18 كتاباً قيماً في الفقه والمنطق والكلام والنحو والصرف والعقائد والبلاغة باللغات العربية والفارسية والتركية وآخرها كتاب موضوع بحثنا «كنز اللّسن» وهو مؤلَّف باللغة العربية في مدينة الموصل سنة 1313هـ : 1895م، وهو كما أسلفنا ذكره، عبارة عن أحدَ عشرَ عموداً في كل صفحة من صفحات الكتاب.

العمود الاول في جميع الصفحات في علم الكلام، أي إذا قُرِئَ العمود من الاعلىٰ الى الأسفل يبحثُ عن موضوع علم الكلام وغايته وفوائده والعمود الثاني يبحث عن التفسير والعمود الثالث في علم الحديث والرابع في علم الفقه والخامس في علم النحو والصرف والسادس في علم الحكمة والسابع في علم المنطق والثامن في علم البيان والبديع والآداب والتاسع خمسة أبياتٍ تركية في مدح السلطان عبدالحميد خان الثاني والعاشر ستة أبيات فارسية في مدح السلطان عبدالحميد خان الثاني أيضاً، حيث كانَ معاصراً له، والحادي عشر أربعة أبيات إثنان منها باللغة الفرنسية وثالثها باللغة الروسية ورابعها باللغة الكردية، علماً بأن الأبيات الفرنسية والروسية مثل التركية والفارسية والكردية مكتوبةٌ بالحروف العربية[5].

فإذا أخذنا القسمَ الأخيرَ من كلمات العمود الحادي عشر أي بعد كلمة (كردى:كوردى) الألفاظ [مثل، دنيا، زنو، جرخيش، خرك، هر، دم، بدوخ، غم، ر، كو، تار، وجودت، بادرا، اشتا، كوهر، خاوي] يحصَلُ لدينا هذا البيت باللغة الكردية وبالحروف العربية:ـ

مثل دنيا زنو جرخيش خرك هردم بدوخ غم
ركو تار وجودت بادرا اشتاكو هر خاوي

واذا كتبنا هذا البيت بالأملاء الكردي الحديث يُصبحُ كالآتي:

مەسەل، دنیا ژن و چەرخیش خەرەك هەردەم بەدووخی غەم
رەگ و تاری وجودت بادرا ئیشتاکو هەر خاوی

وترجمته: الدنيا كالعجوز والفَلَكُ كالمغزل وانها في كل لحظةٍ تفتلُ بمغزلِ الغَمِّ عُروقَكَ وأوتارَ وجودِكَ أيها الانسان، وبالرغم من ذلك فانك لا تزال رَخي الاعصاب غير مفتول الاوتار، بمعنىٰ انك لا تعتبرُ بحوادثِ الزمانِ مهما تعددتْ وتكررتْ.

ومن أغرب الغرائب أنّه إذا قُرِئَ الكتاب افقياً، بأن يُقرَأ السطر الاول من جميع تلك الاعمدة ثم السطر الثاني والثالث وهلم جرا الى نهاية الكتاب، تنقلب اللغات التركية والفارسية والفرنسية والروسية والكردية الى اللغة العربية[6].

وإذا التقطت من آخرِ كل عمود في نهاية الكتاب كلمة واحدة يحصل من مجموعها بيت عربي فيه تأريخ تأليف الكتاب وهو قولُه:ـ

ما نَيْلُ ما ابدعتْ من عجائبي
لذا اتىٰ التاريخُ (مِنْ غَرايبي)

فبحساب الجُمَلِ تكون قِيَمُ حروفِ عبارة «من غرايبي» مساوية لسنة تاليف هذا الكتاب وهي 1313هـ وعلى الوجه التالي:ـ

م ن غ ر ا ى ب ى = [من غرايبي]

40 + 50 + 1000 + 200 + 1 + 10 + 2 ع 10 = هـ1313

وهذه السنة الهجرية تقابل سنتي 1895-1896م، وفق جداول تحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية[7].

حقاً ان الكتابَ تُحفةٌ رائعةٌ من تُحَفِ جهابذة[8] عُلمائنا النابغين، كان مثقلاً بغبار واتربة الاهمال، متروكاً في زاوية النسيان لولا جهود شيخنا الخال المضنية لبعث الحياة فيه وإبرازه الى عالم المطبوعات النفيسة، ليكونَ في متناول أيدي المتخصصين في الفقه والبلاغة والعقيدة والمنطق والنحو والصرف والأدب، وبهذا قد أحسنَ شيخنا عملاً ثقافياً كبيراً في ميدان إحياء تراث فقهائنا الفطاحل[9].

وختاماً أستميح أستاذي الخال عُذراً حين أُبدي له بعض آرائي وملاحظاتي البسيطة حولَ بعض هَفَواته الطفيفة في تقديمه للكتاب وتعليقاته المسهبة عليه، أُجمِلُها في الأسطر التالية إتماماً للفائدة المرجوة من نشر الكتاب وإحقاقاً للحقيقة العلمية:ـ

1 ـ ذكر الاستاذ الخال في السطر الاول من هوامش الصفحة (3) من الكتاب، أن كلمة «اللُسُن» بضمتين أي بضم كل من الحرفين اللام والسين وهي جمع اللسان، وعندما راجعنا قواميس ومعاجم عربية عدة وجدنا أنَّ كلمة «اللّسن» مكتوبة بالشكل الآتي:ـ

أ) اللُسْن: بسكون السين في المنجد في اللغة ط19، ص[10]721.

ب) اللُسْن: بسكون السين في المعجم الرائد المجلد 2، ص[11]1283.

ج) اللُسْن: بسكون السين أيضاً في منجد الطلاب ط15، ص[12]681.

د) اللُسَن: بفتح السين في الصحاح في اللغة والعلوم ـ المجلد 2، ص[13]442.

هـ) اللُسُن: بضم السين في المعجم الوسيط، ج2، ص[14]831.

التسلسل		الصفحة	السطر	الصواب
1	1224هـ = 1818م	3	15	1809-1810م
1	1232هـ = 1815م	4	18	1816-1817م

3	1235هـ =	1818م	4	9	1820-1819م
4	1283هـ =	1865م	4	6	1867-1866م
5	1300هـ =	1884م	8	17	1883-1882م
6	1303هـ =	1887م	8	17	1886-1885م
7	1305هـ =	1889م	8	17	1888-1887م
8	1309هـ =	1893م	8	17	1892-1891م
9	1313هـ =	1897م	8	18	1896-1895م
10	1338هـ =	1918م	9	3	1920-1919م

كما تبين أعلاه ان كلمة «اللُسْن» وردت في معظم المعاجم العربية ساكنة السين وعند كتابتها باللغة الانكليزية تكتب كالآتي: «AL-Lusn» حسب حركات اللام والسين وهذا وارد في الصفحة (20) من الكتاب بهذا الشكل، ولكنَّ حين يقولُ شيخنا الخال إن كلمة «اللُسُن» بضمتين يجب ان تكتب هذه الكلمة بحركة سينها المضمومة بالشكل الآتي: AL-Lusun لأن حركة الضمة في كلا الحرفين اللام والسين تتحول الى الحرف الانكليزي «u» وبما ان شيخنا الخال مقتنع برايه لذا يجب ان تُثبَتَ كتابة اللُسُن باللغة الانكليزية وفق الشكل الاخير.

2) في السطر الرابع من هوامش الصفحة (3) نفسها، جاءَ عبارة (القرن الثالث عشرة الهجري) والصحيح هو [القرن الثالث عشر الهجري] لأن العدد الترتيبي المُصاغ على وزن الفاعل له أحكامُهُ الخاصة تختلف عن أحكام وقواعد الأعداد الصريحة. ففي العدد الترتيبي المصاغ على وزن الفاعل «كالثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع» يُطابق العدد المعدود في التذكير والتانيث، سواء كان مفرداً او مركباً[18] فيقال القرن التاسع ولويس السادس عشر بتطابق جزئي العدد المركب مع المعدود في تذكيره. وأما إذا كان المعدود مؤنثاً فيقال: «الفقرة الخامسة والصفحة التاسعة عشرة، ايضاً بتطابق جزئي العدد المركب مع المعدود في تانيثه. وفي الحقيقة قد طَبَّق شيخنا الخال هذه القاعدة في أماكن عدة من تعليقاته حول الكتاب.

3) رُسِمَت الهمزة المبدوء بها في كلمات مهموزة من تعليقاته حسب قاعدة تخالف قواعد رسم الهمزة المبدوء بها، حيث رُسمت هذه الهمزة في مجموعة من الكلمات على الالف سواء كانت مفتوحة او مضمومة او مكسورة ولكنَّ حسب قواعد الأملاء الصحيحة المتبعة الآن في الكتابة العربية، تكتب الهمزة المبدوء بها في الكلمة إن كانت مفتوحة أو مضمومة فوق الالف كما في الكلمات الآتية:ـ

[أمين، أحمد، أسود، أسبوع، أجور، أنبوب....الخ].

وتكتب الهمزة تحت الالف إن كانت مكسورة كما في الكلمات الآتية:

[إحسان، إكرام، إصبع][19]. ولكننا نرى ان الهمزة المكسورة المبدوء بها لدى الشيخ محمد الخال مكتوبة فوق الالف ووضعت كسرة تحتها في مواضع عدة من تعليقاته فان وضع الكسرة تحت الهمزة وهي مكتوبة فوق الالف لا يقوي قاعدة كتابة الهمزة بشكلها الطبيعي الصحيح. كما في النماذج التالية بعد حذف (ل) و (أل) منها ليكونَ الفرق بين الكتابتين واضحة:

إمامة	ص 3	س 9	الصحيح	إمامة
إحياء	ص 3	س10	الصحيح	إحياء
إنسحاب	ص3	س10	الصحيح	إنسحاب
إستعارة	ص 3	س13	الصحيح	إستعارة
إمارة	ص 5	س23	الصحيح	إمارة
إملائية	ص 8	س 11	الصحيح	إملائية

4) كُتبت الهمزة المتوسطة في كلمة «الهَيْأَة» على شكلين مرة في الغلاف الأول من الكتاب كتبت على النبرة وبهذا الشكل «الهيئة» ومرة أُخرى في الصفحة الأولى من الكتاب كتبت على الالف وبهذا الشكل «الهَيْأَة» ومرة ثالثة كتبت همزتها على النبرة اي بصورتها الأولى المثبتة على الغلاف وبهذا الشكل «الهَيْئَة».

إن كتابة الهمزة المتوسطة في كلمة الهَيْأَة بهذا الشكل صحيحة وفق قاعدة كتابة الهمزة المتوسطة لأنها مفتوحة وما قبلها ساكن فتطبق هذه القاعدة على الكلمات التي على منوالها في الصيغة والحركات مثل [سمَوْأَل، يَسْأَل، جَيْأَل[20]، هَيْأَة][21] فكل هذه الكلمات همزتُها مفتوحة وما قبلها ساكن. ولو ان قاعدة كتابة الهمزة المتوسطة تقضي بأن تكتب على النبرة في حالتين: إما اذا كانت مكسورةً، اوكانت مفتوحة وما قبلها مكسور، لأن الكسرة أقوى الحركات ولكنَّ كتابة الهمزة في كلمة «الهَيْأَة» تختلف عن هذه القاعدة لأن ياءَها ساكنة ولا نحس فيها بحركة الكسرة ابداً.

5) حصلت بعض الهفوات في عملية تحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية، فقابل شيخنا الخال كل سنة هجرية مقابل

سنة ميلادية واحدة كأنهما تتجددان كلَّ عامٍ في يومٍ واحدٍ وشهرٍ واحدٍ ولكنَّ الحقيقة تجري بشكل عام، على أنَّ السنة الهجرية تكون بعض أيامها وأشهرها في سنة ميلادية معينة وبعضها الآخر في سنة ميلادية تالية إلّا اذا ذُكِرَ في التاريخ الهجري اليوم والشهر والسنة وفي هذه الحالة يمكن ايجاد السنة الميلادية المقابلة لها بصورة مضبوطة ودقيقة وفق معادلات جبرية معقدة أو حسب جداول خاصة بتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية كما رتبها المستشرق الأرمني السوفيتي «يوسف ابكاروفيج اوربلي» وقام الدكتور حسين قاسم العزيز بترجمة معلومات وأرقام هذه الجداول ونشرها في العددين الثالث والرابع من المجلد الثالث من مجلة المورد التراثية الفصلية البغدادية في سنة 1974.

وهنا نورد بعض الامثلة من هذه التحويلات التي وقع أستاذنا محمد الخال في أخطاء وهفوات تستوجب التصحيح، احقاقاً للفائدة المرجوة:ـ

عندما نُمعن الطرف في هذا الجدول تلفت ملاحظتان نظرنا وهما:ـ

نرىٰ أنَّ سنة 1224هـ الواردة في الملاحظة الأولى تقابل سنة 1818 لكن في الحقيقة ووفق جداول تحويل السنوات الهجرية الى الميلادية نرىٰ انها تُقابلُ سنتي 1809 و1810 الميلادية والفرق هنا حوالي 9 سنوات وهذه هفوة كبيرة. وكذلك عندما نرىٰ في الملاحظة الخامسة أن سنة 1300هـ تقابل 1884م نرى بأن شيخنا الخال قد قابل هذه السنة الهجرية وهي 1300 بسنة 1882هـ في موقعين من الصفحة الثالثة، في السطرين السابع والثامن من نفس الكتاب!![18].

إذا لم تكن في متناول أيدينا جداول (اوربلي) لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية. يمكن ان نعتمد على معادلة جبرية بسيطة[20] وهي أسهل وأبسط من طرائق الدكتور احمد عثمان أبوبكر في مضمار هذه التحويلات والمعادلة هي:ـ

$$م = (هـ + 621{,}60) - \left(3 - \frac{هـ}{100}\right)$$

فاذا اردنا أن نحول سنة 1300هـ حسب هذه المعادلة الى السنة الميلادية، نُجري المعادلة على الوجه الآتي:ـ

$$م = (1300 + 621{,}60) - 3 \times 1300/100$$

$$= 1921{,}6 - 39{,}00 = 1882{,}60م$$

فاذاً سنة 1300هـ تكون مقابلة لسنتي 1882-1883م

أي ان 40٪ من أيامها تقع ضمن سنة 1882م و 60٪ من أيامها تقع ضمن سنة 1883م وهي مطابقة ايضاً مع جداول (اوربلي) تماماً[21].

وختاماً آملُ انْ يقبلَ شيخُنا الخال ملاحظاتي هذه بصدر رحب ممن يتوقُ الى معرفة العلوم التراثية والاطلاع على خفايا العلوم الانسانية مع فائق تقديري لجهود، القيمّة في هذا المضمار.

1 ـ النِحرير: الحاذق الفطن العاقل (*) السِفْرُ: الكتاب الكبير.
2 ـ حَفَدة: جمع حفيد وهو ابن الابن.
3 ـ كنز اللُسن ـ تأليف العّلامة أحمد فائز البرزنجي ـ تقديم وتصحيح وضبط الشيخ محمد الخال ـ بغداد ,1980 ص 3 «من مطبوعات المجمع العلمي العراقي».
4 ـ نفس المصدر ـ ص4.
5 ـ نفس المصدر ـ ص7.
6 ـ نفس المصدر ـ ص7.
7 ـ جداول تحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ـ ترتيب المستشرق الأرمني السوفيتي ـ يوسف ابكاروفيج أوربلي ـ مجلة المورد ـ المجلد الثالث العدد الرابع ـ بغداد 1974، ص136.
8 ـ جهابذة: جمع جهبذ: وهو الناقد العارف بتمييز الجيّد من الرديء.
9 ـ الفطاحل: فطاحل الفقهاء = كبارهم.
10 ـ لويس معلوف ـ المنجد في اللغة ط 19 بيروت 1966، ص 721.
11 ـ المعجم الرائد ـ المجلد الثاني ـ جبران مسعود ـ بيروت 1978، ص1283.
12 ـ منجد الطلاب ـ ضبط فؤاد إفرام البُستاني ـ ط15، بيروت 1973، ص681.
13 ـ الصحاح في اللغة والعلوم ـ تجديد صِحاح العلّامة الجوهري ـ المجلد الثاني ـ بيروت، ص442.
14 ـ المعجم الوسيط ـ الجزء الثاني، بيروت، ص 831.
15 ـ الشيخ مصطفى الغلاييني ـ جامع الدروس العربية ـ الجزء الأول ـ ط6، بيروت 1952، ص 15.
16 ـ نفس المصدر ـ الجزء الثاني ـ ط6، بيروت 1952 ، ص147.
17 ـ جَيْأل: اسم لجنس الضبُع.
18 ـ الشيخ مصطفى الغلاييني ـ جامع الدروس العربية ج2، ط6، بيروت 1952، ص153.
19 ـ السيد أحمد فائز ـ كنز اللُسن ـ تقديم وتصحيح وضبط الشيخ محمد الخال ـ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي «الهيأة الكردية» 1980، ص3
20 ـ ابراهيم محمد الأصيبعي ـ علاقة التقويم الميلادي بالتقويم الهجري ـ مجلة المعلم الجديد ـ الجزء الأول ـ المجلد الرابع والعشرون ـ بغداد سنة 1961، ص88.
21 ـ جداول تحويل السنوات الهجرية الى الميلادية ـ ترتيب المستشرق الأرمني السوفيتي ابكاروفيج أوربلي ـ مجلة المورد ـ المجلد الثالث، العدد الرابع ـ بغداد 1974، ص135.